

12 من قوله: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ)

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ○ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فَيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ○ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ نُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِظَالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ○ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًّا يُنَادِي لِإِيمَانِنَا أَنْ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَأَمَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفَرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ○ رَبَّنَا وَأَتَنَا مَا وَعَدْنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ

طريق آخر: لهذا الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال أبو بكر بن مردوه: حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن علي، حدثنا أبو يحيى بن أبي مسرة، أنبأنا خلاد بن يحيى، أنبأنا يونس بن أبي إسحاق، عن المنهاج بن عمرو، عن علي بن عبدالله بن عباس، عن عبدالله بن عباس، قال: أمرني العباس أن أبكيت بال رسول الله ﷺ وأحفظ صلاته. قال: فصلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة العشاء الآخرة حتى إذا لم يبق في المسجد أحد غيره، قام فمر بي، فقال: من هذا؟ عبدالله؟ قلت: نعم، قال: فمه؟ قلت: أمرني العباس أن أبكيت لكم الليلة. قال: فالحق الحق فلما دخل قال: افرشن عبدالله؟ فأتى بوسادة من مسوح.

قال: فنام رسول الله ﷺ عليها حتى سمعت غطيته، ثم استوى على فراشه قاعدا، قال: فرفع رأسه إلى السماء فقال: سبحان الملك القدس ثلاث مرات ثم تلا هذه الآيات من آخر سورة آل عمران حتى ختمها. وقد روى مسلم وأبو داود والنسائي من حديث علي بن عبدالله بن عباس عن أبيه حديثا في ذلك أيضا.

الشيخ: هذه زيادة سبحان الملك القدس هذه زيادة معروفة والحديث رواه الشیخان في الصحيحين وليس فيهما هذه الزيادة ولم يرد فيهما أن العباس أمره أن يحضر، وإنما ذكر أنه بات عند خالته ميمونة فسمع النبي ﷺ لما قام من نومه يقرأ هذه الآيات، في رواية أنه نظر إلى السماء ثم قرأ هذه الآيات إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ [آل عمران: 190] هذا المحفوظ.

طريق آخر: رواها ابن مردوه من حديث عاصم بن بهلة عن بعض أصحابه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة بعد ما مضى ليل، فنظر إلى السماء وتلا هذه الآية إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ [آل عمران: 190] إلى آخر السورة ثم قال: اللهم اجعل في قلبي نورا، وفي سمعي نورا وفي بصري نورا، وعن يميني نورا، وعن شمالي نورا، ومن بين يدي نورا، ومن خلفي نورا، ومن فوقني نورا، ومن تحتي نورا وأعظم لي نورا يوم القيمة وهذا الدعاء ثابت في بعض طرق الصحيح من روایة کریب عن ابن عباس . ۲

ثم روی ابن مردوه وابن أبي حاتم من حديث جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير، عن ابن

عباس، قال: أنت قريش اليهود، فقالوا: بم جاءكم موسى من الآيات؟ قالوا: عصاه ويده البيضاء للناظرین. وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى فيكم؟ قالوا: كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهبا، فدعا ربه ﷺ، فنزلت إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لَأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ [آل عمران: 190] قال: فليتَقْرَرُوا فِيهَا، لفظ ابن مردویه.

وقد تقدم هذا الحديث من روایة الطبراني في أول الآية، وهذا يقتضي أن تكون هذه الآيات مکية، والمشهور أنها مدینیة، ودليله الحديث الآخر. قال ابن مردویه: حدثنا إسماعيل بن علي بن إسماعيل، حدثنا أحمد بن علي الحراني، حدثنا شجاع بن أشرس، حدثنا حشرج بن نباتة الواسطي أبو مکرم عن الكلبی وهو أبو جناب، عن عطاء قال: انطلقت أنا وابن عمر وعبيد بن عمیر إلى عائشة رضی الله عنها، فدخلنا عليها وبيننا وبينها حجاب، فقالت: يا عبید ما يمنعك من زيارتنا؟ قال: قول الشاعر: زر غبا تزدد حبا. فقال ابن عمر: ذرینا أخبرینا بأعجب شيء رأیته من رسول الله ﷺ، فبكت وقالت: كل أمره كان عجا، أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي، ثم قال ذریني أتعبد لربی لـقالت: فقلت والله إني لأحب قربك، وإنی أحب أن تعبد لربك، فقام إلى القربة فتوضا ولم يکثر صب الماء، ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته، ثم سجد فبكى حتى بل الأرض، ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلوة الصبح. قالت: فقال: يا رسول الله، ما يبكيك وقد غفر الله لك ذنبك ما تقدم وما تأخر؟ فقال: ويحك يا بلال، وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل على في هذه الليلة إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لَأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتذكر فيها.

وقد رواه عبد بن حميد في تفسيره عن جعفر بن عون عن أبي جناب الكلبی عن عطاء قال: دخلت أنا وعبدالله بن عمر وعبيد بن عمیر على أم المؤمنین عائشة رضی الله عنها وهي في خدرها، فسلمنا عليها، فقالت: من هؤلاء؟ قال: فقلنا: هذا عبدالله بن عمر وعبيد بن عمیر. قالت: يا عبید بن عمیر. ما يمنعك من زيارتنا، قال: ما قال الأول: زر غبا تزدد حبا. قالت: إنا لنحب زيارتك وغشيانك. قال عبدالله بن عمر: دعينا من بطالتكما هذه، أخبرینا بأعجب ما رأیت من رسول الله ﷺ قال: فبكت ثم قالت: كل أمره كان عجا، أتاني في ليلتي حتى دخل معی في فراشي، حتى لصق جلده بجلدي، ثم قال: يا عائشة اندنی لي أتعبد لربی. قالت: إني لأحب قربك وأحب هواك. قالت: فقام إلى قربة في البيت فما أكثر صب الماء، ثم قام فقرأ القرآن، ثم بكى حتى رأیت أن دموعه قد بلغت حقوقه، قالت: ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه، ثم بكى حتى رأیت دموعه قد جرّه، قالت: ثم اتكا على جنبه الأيمن ووضع يده تحت خده، قالت: ثم بكى حتى رأیت دموعه قد بلغت الأرض فدخل عليه بلال فآذنه بصلوة الفجر، ثم قال: الصلاة يا رسول الله، فلما رأه بلال يبكي قال: يا رسول الله، تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال يا بلال أفلأكون

عبدًا شكورًا؟ وما لِي لا أبكي وقد نزل على الليلة إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ إِلَى قوله سُبْحَانَكَ فَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ثُمَّ قَالَ: وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا.

وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه عن عمران بن موسى، عن عثمان بن أبي شيبة، عن يحيى بن زكريا، عن إبراهيم بن سعيد النخعي، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء، قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فذكر نحوه.

وهكذا رواه عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب التفكير والاعتبار عن شجاع بن أشرس به. ثم قال: حدثني الحسن بن عبدالعزيز: سمعت سفيانًا يذكر عن سفيان هو الثوري رفعه، قال من قرأ آخر آل عمران فلم يتقرب فيها ويله بعد بأصابعه عشرًا. قال الحسن بن عبد العزيز: فأخبرني عبيد بن السائب قال: قيل للأوزاعي: ما غاية التفكير فيهن؟ قال: يقرؤهن وهو يعقلهن. قال ابن أبي الدنيا: وحدثني قاسم بن هاشم، حدثنا علي بن عياش، حدثنا عبد الرحمن بن سليمان قال: سألت الأوزاعي عن أدنى ما يتعلق به المتعلق من الفكر فيهن وما ينجيه من هذا الويل؟ فأطرق هنية ثم قال: يقرؤهن وهو يعقلهن. الشيخ: وهو يعقلهن يتدارهن يتدار ما فيها من المعاني لا يتلوها بلسان مجرد قراءة الألفاظ، بل يكون المؤمن في تفكير وتدبر ولهذا قال سبحانه في الآية الأخرى: كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَبَّرُوا أَيَّاتِهِ وَلَيَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ [ص:29] المهم التدبر والتعقل والعمل لا مجرد قراءة الألفاظ، وإن كانت قراءته عبادة وفيها أجر لكن ليس المقصود مجرد التلاوة، المقصود من هذا الكتاب العظيم التدبر والتعقل والعمل ولهذا ذم الله من لم يتدار ف قال: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْقَالُهَا [محمد:24] فالامر يحتاج إلى عناية من القارئ من التدبر والإقبال ليستفيد إنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ [الإسراء:9] فَلْ هُوَ لِلّٰذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ [فصلت:44] وهذا إنما يحصل بالتدبر والنظر والتأمل للمعاني والاستفادة.

حديث آخر: فيه غرابة: قال أبو بكر بن مردوه: حدثنا عبد الرحمن بن بشير بن نمير، حدثنا إسحاق بن إبراهيم البستي (ح) قال: وحدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد، حدثنا أحمد بن عمرو قال: أنبأنا هشام بن عمار، أنبأنا سليمان بن موسى الزهرى، أنبأنا مظاهر بن أسلم المخزومى، أنبأنا سعيد بن أبي سعيد المقبرى عن أبي هريرة، قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ عشر آيات من آخر سورة آل عمران كل ليلة. مظاهر بن أسلم ضعيف. الشيخ: المعنى صحيح لأنه كان يقرأها إذا قام من النوم عليه الصلاة والسلام يقرأها ويمسح وجهه بيده عليه الصلاة والسلام إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاحْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ [آل عمران:190] إلى آخرها حتى يكمل السورة عليه الصلاة والسلام.

س: من السنة أن استئذن زوجته عند قيام الليل؟
الشيخ: لا ما هو بلازم هذا لو صح لكان من باب الملاطفة لكن غالب روایات ابن مردویه وأشباهه ضعيفة

س: هذا الوعيد ثابت لمن يقرأها ولم يتذمّر بها؟
 الشيخ: كل هذه الروايات في صحتها نظر،.... والتفكير والتدبر يستحب! حث الله عليه ورغبه فيه [وهو بالجملة واجب ومتعين لأنّه طريق إلى الفائدة.

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيقُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتُلُوا لِأَكْفَارٍ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَانَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثُوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ التَّوَابِ

يقول تعالى: فاستجاب لهم ربهم أي فأجابهم ربهم، كما قال الشاعر:

وداع دعا: يا من يجيب إلى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

قال سعيد بن منصور: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار، عن سلمة رجل من آل أم سلمة، قال: قالت أم سلمة: يا رسول الله لا نسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء. فأنزل الله تعالى: فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيقُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى إِلَى آخر الآية. وقالت الانصار: هي أول ظعينة قدمت علينا، وقد رواه الحكم في مستدركه من حديث سفيان بن عيينة. ثم قال: صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجا، وقد روى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أم سلمة قالت: آخر آية نزلت هذه الآية فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيقُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ إلى آخرها، رواه ابن مردوه.

ومعنى الآية أن المؤمنين ذوي الألباب لما سألوا مما تقدم ذكره فاستجاب لهم ربهم عقب ذلك بفاء التعقيب، كما قال تعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي قَرِيبٌ أَحِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَتْحِبُّوا لِي وَلَيُؤْمِنُوا بِي لَعْلَهُمْ يَرْشُدُونَ [البقرة: 186] وقوله تعالى: أَنِّي لَا أُضِيقُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى هذا تفسير للإجابة، أي قال لهم مجيبا لهم أنه لا يضيق عمل عامل لديه، بل يوفي كل عامل بقسط عمله من ذكر أو أنثى، و قوله بعضاكم من بعض أي جميعكم في ثوابي سواء، فَالَّذِينَ هَاجَرُوا أَيْ ترکوا دار الشرك وأتوا إلى دار الإيمان وفارقوا الأحباب والإخوان والخلان والجيران، وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ أي ضاق عليهم المشركون بالأذى حتى الجاؤهم إلى الخروج من بين أظهرهم، ولهذا قال وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي أي إنما كان ذنبهم إلى الناس أنهم آمنوا بالله وحده، كما قال تعالى: يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ [المتحنة: 1] وقال تعالى: وَمَا نَقْمُو مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ [البروج: 8] وقوله تعالى: وَقَاتَلُوا وَقُتُلُوا وهذا أعلى المقامات أن يقاتل في سبيل الله فيعرقل جواده ويغفر وجهه بدمه وترايه. وقد ثبت في الصحيحين أن رجلا قال: يا رسول الله، أرأيت إن قتلت في سبيل الله صابرا محتسبا مقلا غير مدبر، أياً كفَرَ اللهُ عَنِي خطاياي؟ قال نعم ثم قال: كيف قلت؟ فأعاد عليه ما قال، فقال: نعم، إلا الدين، قاله لي جبريل آنفا.

الشيخ: لأن الدين لا يسقط بالشهادة في سبيل الله لأجل يوفى صاحبه أجره ولا يضيع على صاحبه، ولكن الشهيد موعد بالجنة والكرامة وإن كان عليه دين لكن لا يسقط دين الناس بل يعطون حقوقهم والله لـإذا رضي عن العبد وأكرمه ... وقضى عنه الدين فالديون لا تضيع والله لا يضيع حق الناس، بل يدخله لهم أعمالهم وينميها لهم ويربيها لهم ويضاعفها لهم I، وهذا من فضلاته وجوده أن من قاتل في سبيله أو جاهد في سبيله أو عمل أي عمل في سبيله فإن عمله محفوظ عند الله لـ، قل أو كثـ.

ولهذا قال تعالى: **لَا كُفَّارَنَّ عَنْهُمْ سِتَّاً تَهْمَمْ وَلَا دُخُلَّنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَيْ تَجْرِي فِي خَلَالِهَا الْأَنْهَارُ** من أنواع المشارب من لبن وعسل وخرم وماء غير آسن، وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. قوله **ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَصْفَافُهُ إِلَيْهِ وَنَسْبَهُ إِلَيْهِ** ليدل على أنه عظيم، لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جزيلا كثيرا، كما قال الشاعر:

إن يعبد يكن غراما وإن يعطـ... جزيلا فإنه لا يبالي

وقوله تعالى: **وَاللَّهُ عِنْدُهُ حُسْنُ التَّوَابِ** أي عنده حسن الجزاء لمن عمل صالحا. قال ابن أبي حاتم: ذكر عن دحيم بن إبراهيم قال: قال الوليد بن مسلم، أخبرني حريز بن عثمان أن شداد بن أوس كان يقول: يا أيها الناس، لا تتهماوا الله في قضائكم، فإنه لا يبغى على مؤمن، فإذا أنزل بأحدكم شيء مما يحب، فليحمد الله، وإذا أنزل به شيء مما يكره، فليصبر ولیحتسب، فإن الله عنده حسن الثواب.

لَا يَغْرِنَكَ تَقْلُبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ○ **مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ** ○ **لَكُنَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ** **خَالِدِينَ** **فِيهَا نُرُّلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ**

يقول تعالى: لا تنتظروا إلى ما هؤلاء الكفار متزلفون فيه من النعمة والغبطـة والسرور، فعما قليل يزول هذا كلـه عنـهم ويصبحـون مرتهـنين بأعمالـهم السيـئة، فإنـما نـمد لهم فيما هـم فيه استـدرـاجـا، وجميعـ ما هـم فيه متـاع قـليل ثمـ مـأواهـم جـهـنـم وـبـئـسـ المـهـادـ ○ **لَكـنـ الـذـينـ** **آيـاتـ اللـهـ إـلـاـ الـذـينـ كـفـرـواـ فـلـاـ يـغـرـرـكـ تـقـلـبـهـمـ فـيـ الـبـلـادـ** [غافـر:4]، وـقالـ تعالى: **إـنـ الـذـينـ يـقـتـرـونـ عـلـىـ اللـهـ الـكـذـبـ لـاـ يـفـلـحـونـ** ○ **مـتـاعـ فـيـ الدـنـيـاـ ثـمـ إـلـيـنـاـ مـرـجـعـهـمـ ثـمـ تـذـيقـهـمـ الـعـذـابـ الشـدـيدـ بـمـاـ كـانـواـ يـكـفـرـونـ** [يـونـسـ:69ـ، 70ـ]، وـقالـ تعالى: **نـمـتـعـهـمـ قـلـيلـاـ ثـمـ نـضـطـرـهـمـ إـلـىـ عـذـابـ غـلـيـظـ** [لقـمانـ:24ـ]

الـشـيخـ: وهذا واضحـ في توجـيهـه لـعبـادـهـ إـلـىـ أـنـ لـاـ يـغـرـرـواـ بـالـكـثـرةـ وـمـاـ أـعـطـواـ مـنـ التـقـلـبـ فـيـ الـبـلـادـ وـالـنـعـمـ الـكـثـيرـةـ وـالـتـنـقـلـاتـ بـيـنـ أـنـوـاعـ النـعـمـ وـبـيـنـ صـنـوـفـ الـبـلـادـ كـلـ ذـلـكـ مـتـاعـ قـلـيلـ لـاـ يـنـبـغـيـ لـلـعـاقـلـ أـنـ يـغـتـرـ بـهـ فـإـنـ اللـهـ يـمـدـهـ بـهـاـ اـسـتـدـرـاجـاـ وـعـذـابـهـ كـمـاـ قـالـ جـلـ وـعـلاـ: **سـنـسـتـدـرـجـهـمـ مـنـ حـيـثـ لـاـ يـعـلـمـونـ** ○ **وـأـمـلـيـ لـهـمـ إـنـ كـيـدـيـ مـتـيـنـ** [الأـعـرـافـ:182ـ183ـ]، وـلـهـذاـ قـالـ: **Yـوـلـاـ تـحـسـبـنـ اللـهـ** **غـافـلـاـ عـمـاـ يـعـمـلـ الـظـالـمـونـ** **إـنـمـاـ يـوـخـرـهـمـ لـيـوـمـ تـشـخـصـ فـيـهـ الـأـبـصـارـ** [إـبـراهـيمـ:42ـ] وـهـنـاـ قـولـهـ: **لـاـ**

يَعْرِنَّكُ تَقْلُبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَاد متابع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهداد [آل عمران: 196، 197] فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بما أعطى من النعم من أموال ومراتب ومساكن وغير هذا فإنه كله متابع قليل والله ذكر لهذه الدنيا البقاء ونهايتها فلو أخذ كل بذنبه وكل كافر بذنبه لم يبق على وجه الأرض كافر ولا مؤمن ولرجوع الناس كلهم إلى الحق ولكن الله بعلمه أنه يبتلي هؤلاء ويبتلي هؤلاء، فمن صبر واحتسب واستقام على الحق فله العاقبة الحميدة ومن اغتر بالعاجلة ومن شابه أهلها أو اغتر بما أعطيه من النعم حتى استعملها فيما يسخط الله [فهو الهالك من حيث ظن أنه من حيث غفل عن مصيره نسأل الله العافية! إلى أسوأ حال لمن لم يشكر الله ولم يستقم على أمره بل غره الغرور وغره الشيطان. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال تعالى: **فَمَهْلِ الْكَافَرِينَ أَمْهَلْهُمْ رُوَيْدًا** [الطارق: 17] أي قليلاً، وقال تعالى: **أَفَمْنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًا** **حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ** [القصص: 61] وهذا لما ذكر حال الكفار في الدنيا وذكر أن مآلهم إلى النار ، قال بعده: **لَكُنَ الَّذِينَ اتَّقُوا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ**.الشيخ: خير للأبرار مطلقاً سواء كانوا في الدنيا أغنياء أو فقراء فهو خير لهم، ما يعطفهم الله يوم القيمة من النعيم ينسفهم ما مضى عليهم في الدنيا من شدة وفقر وغير ذلك، ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار فإذا دخل النار سئل هل مر بك نعيم قوله: ما مر بي نعيم قط، ينسى كل شيء، ويؤتى بأشد أهل الدنيا بؤساً من أهل الجنة فيدخل الجنة، فيقال: هل مر بك شدة؟ فيقول: لا يا رب نسي ما أصابه من شدة في الدنيا ولواء في الدنيا أو مرض أو فقر أو غير ذلك كله زائل.

وقال ابن مردوه: حدثنا أحمد بن نصر، حدثنا أبو طاهر سهل بن عبد الله، أئبنا هشام بن عمار، أئبنا سعيد بن يحيى، أئبنا عبيد الله بن الوليد الوصافي عن محارب بن دثار، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ قال إنما سموا الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء، كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق» كذا رواه ابن مردوه عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعا.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن جناب، حدثنا عيسى بن يونس عن عبيد الله بن الوليد الوصافي، عن محارب بن دثار، عن ابن عمر، قال: إنما سماهم الله أبرارا لأنهم بروا الآباء والأبناء، كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق، وهذا أشبه، والله أعلم بالشيخ: ...] الأبرار معروفون هم الذين بروا في أعمالهم وأقوالهم في حق الله وفي حق عباده هم الأبرار الذين أدوا الحق لله ولعباده ولهذا سموا أبرارا، والأبناء لهم حق تربيتهم والإحسان إليهم والإإنفاق على محتاجهم كما أن حق الآباء والأمهات في البر والإحسان إليهم هو أكبر وأعظم من حق الأولاد فهم أدوا حق الله وأدوا حق العباد فسموا أبرارا لأجل برهم في أعمالهم وأقوالهم في حق الله وحق عباده فصارت الجنة مأواهم ومصيرهم.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا هشام الدستوائي عن رجل عن الحسن، قال: الأبرار الذين لا يؤذون الذر. الشيخ: والمقصود أن الأبرار هم الذين لا يظلمون الناس ولا يؤذون عباد الله ولا خلق الله.

وهذا ضعيف عن الحسن لأن فيه هذا الرجل المبهم والمعنى أنهم هم الذين لا يعتدون على الناس ولا على الخلق لو صح، فإن الذر لا يقتل إلا بحق فالحاصل أن البار المؤمن شأنه أنه لا يتعدى على أحد لا على ... المكلفين ولا على غيرهم.

وقال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن خيثمة عن الأسود، قال: قال عبد الله يعني ابن مسعود: ما من نفس برة ولا فاجرة إلا الموت خير لها، لئن كان بر لقد قال الله تعالى: وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ وَكَذَا رواه عبد الرزاق عن الأعمش عن الثوري به. وقرأ وَلَا يَحْسِبُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيُرْدَادُوا إِنَّمَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ [آل عمران: 178]. الشيخ: أما الكافر ... الموت خير له، لأنه كلما زاد في الحياة زاد في الشر وزاد في الإنثم نعوذ بالله، أما المؤمن فقد أخبر النبي ﷺ أن عمر المؤمن لا يزيده إلا خيراً، فالمؤمن إذا طال عمره في الإسلام زاد خيراً وصارت حياته نافعة له، وما عند الله خير للأبرار وإن الدنيا لا قيمة لها، ما عند الله لأهل الإيمان خير لهم لكن ليس المعنى أن خيراً له وهو مؤمن تقي فإن المؤمن تزداد حسناته ويزداد عمله الصالح كلما طالت حياته ولهذا في الحديث: "خير الناس من طال عمره وحسن عمله" وكذا من قوله فيما يتعلق بالمؤمن لأن المؤمن إذا رزقه الله الاستقامة وعافاه من الفتن فحياته تزيده خيراً كلما زاد في الحياة زاد في الأعمال الصالحات وزاد في الحسنات حتى يدخل الجنة ولا ينافي هذا قوله سبحانه: وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ يعني ليس معنى الآية أن معناها أن ما عند الله خير للبار إذا مات النعيم الذي في الجنة خير من نعيم الدنيا، وأما الكافر فلا شك أن حياته تضره.

.....

قال ابن جرير: حدثني المثنى، حدثنا إسحاق، حدثنا ابن أبي جعفر عن فرج بن فضالة، عن لقمان عن أبي الدرداء أنه كان يقول: ما من مؤمن إلا والموت خير له، وما من كافر إلا والموت خير له، ومن لم يصدقني فإن الله يقول وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ويقول وَلَا يَحْسِبُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيُرْدَادُوا إِنَّمَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ [آل عمران: 178]. وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِمْ خَائِشِعِينَ لَهُ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أَوْ لِئَلَّا لَهُمْ أَجْرٌ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ○ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَأِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ أَعْلَمُ تَفْلِحُونَ

يخبر تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان، ويؤمنون بما أنزل على محمد مع ما هم مؤمنون به من الكتب المتقدمة، وأنهم خاشعون لله أي مطيعون له، خاضعون متذللون بين يديه، لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أي لا يكتمون ما بأيديهم من البشارات بمحمد

وذكر صفته ونعته وبعثه وصفة أمنته، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم، سواء كانوا هوداً أو نصارى، الشيخ: وهذا ممن من الله عليهم ورزقهم الاستقامة ونفعهم الله بما علموا من التوراة والإنجيل كعبد الله بن سلام وغيره ممن أسلم من اليهود والنصارى، نفعهم الله بعلمهم السابق، وهداهم إلى الإيمان فآمنوا بالرسل الماضين وأمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام فتمت لهم السعادة.

وقد قال تعالى في سورة القصص: **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ○ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ○ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرًا هُمْ مَرْتَبَاتٍ بِمَا صَبَرُوا** [القصص: 52-54].

وقد قال تعالى: **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتَلَوَّنُهُ حَقًّا تِلَاقُتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ** [البقرة: 121]. وقد قال تعالى: **وَمَنْ قَوْمٌ مُوسَى أُمَّةٌ يَهُدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ** [الأعراف: 159]، وقال تعالى: **أَتَيْسُوا سَوَاءَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَلَوَّنُ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ** [آل عمران: 113]، وقال تعالى: **فَلَمَنْ أَمْنَوْا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ○ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لِمَفْعُولًا ○ وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا** [الإسراء: 107-109] وهذه الصفات توجد في اليهود، ولكن قليلاً كما وجد في عبد الله بن سلام وأمثاله ممن آمن من أخبار اليهود، ولم يبلغوا عشرة أنفس، وأما النصارى فكثير منهم يهتدون وينقادون للحق. الشيخ: يعني أفضل وألين أقرب إلى الدخول في الإسلام من اليهود لتجدهم أشد الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا وتجدهم أقرب لهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إن نصارى [المائدة: 82] فالنصارى أقل علمًا وأقل عنادًا من اليهود واليهود أكثر علمًا وأكثر عنادًا نسأل الله العافية الذين اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلاً باعوا الآخرة بالدنيا، أما هؤلاء المؤمنين فلم يشتروا بآيات الله ثمنًا قليلاً بل آثروا ما عند الله وتابعوا الرسول محمد عليه الصلاة والسلام وصدقوا بالحق فنفعهم علمهم وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء . I

وأما النصارى فكثير منهم يهتدون وينقادون للحق، كما قال تعالى: **أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاؤًا لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَأَشَدَّ النَّاسِ عَدَاؤًا لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى** [المائدة: 82] إلى قوله تعالى: **فَأَتَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا** [المائدة: 85] ، وهكذا قال هنا **أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ الْآيَة.**

وقد ثبت في الحديث أن جعفر بن أبي طالب **ع**، لما قرأ سورة كهيعص بحضور النجاشي ملك الحبشة وعنه البطاركة والقساوسة، بكى وبكوا معه حتى أخضبوا لحاهم، وثبت في الصحيحين أن النجاشي لما مات نعاه النبي **ﷺ** إلى أصحابه وقال إن أخا لكم بالحبشة قد مات، فصلوا عليه فخرج إلى الصحراء فصفهم وصلى عليه. الشيخ: في الرواية المشهورة أنه لما سمع سورة مريم أخذ قذاة من الأرض وقال ما زاد هذا على ما جاء به عيسى مثل هذا وقال: هذا هو الحق. أما الذين ماتوا على دين عيسى وعلى دين موسى فهم من أهل الحق وهم من طوائف الحق ومن

الفرقة الناجية وإنما الفرق التي هلكت هي التي خالفت ما جاء به موسى وعيسى، ثم لما أدركوا محمداً ﷺ هدى الله كثيراً من النصارى ودخلوا في دين الله وابتعد اليهود وكذبوا وكذبوا نسأل الله العافية ولم يسلم منهم إلا النادر.

وروى ابن أبي حاتم والحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت، عن أنس بن مالك، قال: لما توفي النجاشي قال رسول الله ﷺ استغفروا للأخِيكم فقال بعض الناس: يأمرنا أن نستغفِر لعلج مات بأرض الحبشة.الشيخ: وهذا إن صح فهذا من المنافقين هذه العبارات وأشباهها تصدر من أهل النفاق الذين ما عندهم إيمان بالنبي ﷺ وهم ينتهزون الفرص حتى يلقوها بعض الكلمات الرديئة.

فنزلت وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمْنَ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاصِّيَّاتِهِمْ الْآيَةُ، ورواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم من طريق أخرى عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن الحسن عن النبي ﷺ، ثم رواه ابن مردويه من طرق عن حميد، عن أنس بن مالك، بنحو ما تقدم ورواه أيضاً ابن جرير من حديث أبي بكر الهذلي عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ حين مات النجاشي إن أخاكم أصحمة قد مات، فخرج رسول الله ﷺ فصلَى كما يصلي على الجنائز فكبر عليه أربعاً، فقال المنافقون: يصلي على علجمات بأرض الحبشة، فأنزل الله: وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمْنَ يُؤْمِنْ بِاللهِ الْآيَةُ.

وقال أبو داود «: حدثنا محمد بن عمرو الرازي، حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق، حدثني يزيد بن رومان، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما مات النجاشي كنا نحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور.

وقد روى الحافظ أبو عبدالله الحاكم في مستدركه: أئبنا أبو العباس السعري بمرو، حدثنا عبدالله بن علي الغزال، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، حدثنا ابن المبارك، حدثنا مصعب بن ثابت عن عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه، قال: نزل بالنجاشي عدو من أرضهم، فجاءه المهاجرون فقالوا: إنا نحب أن نخرج إليهم حتى نقاتل معك وترى جرأتنا ونجزيك بما صنعت بنا، فقال: لا، دواء بنصرة الله عليه السلام خير من دواء بنصرة الناس، قال: وفيه نزلت وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمْنَ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاصِّيَّاتِهِمْ الْآيَةُ. ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجا.

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد وإن من أهل الكتاب يعني مسلمة أهل الكتاب. وقال عباد بن منصور: سألت الحسن البصري عن قول الله وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمْنَ يُؤْمِنْ بِاللهِ الْآيَةُ، قال: هم أهل الكتاب الذين كانوا قبل محمد ﷺ فاتبعوه، وعرفوا الإسلام فأعطاهم الله تعالى أجر اثنين: للذي كانوا عليه من الإيمان قبل محمد ﷺ وبالذي اتبعوا محمداً ﷺ، رواهما ابن أبي حاتم.

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين ذكر منهم: ورجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي.الشيخ: وهذا فضل الله يعطيه أجره على إيمانه

بمن سبق إيمانه بموسى وعيسى، ويعطى أجراً ثانياً على إيمانه بمحمد عليه الصلاة والسلام، وهكذا فضل الله على أمة محمد يعطون أجراً مرتين، يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كُلَّيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمَسُّونَ بِهِ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [الحديد: 28] فهو يضاعف لهذه الأمة الأجر ويثيرها على أعمالها الطيبة بأجر عظيمة بالمضاعفة فهو فضله [يعطيه من يشاء]. I.

وقوله تعالى: لَا يَشْتَرِئُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثُمَّا قَلِيلًا أي لا يكتمنون ما بأيديهم من العلم كما فعله الطائفه المرذولة منهم، بل يبذلون ذلك مجانا، ولهذا قال تعالى: أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرٌ هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ، قال مجاهد: سريع الحساب يعني سريع الإحصاء، رواه ابن أبي حاتم وغيره.









